جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللّغة العربيّة

الافتراض الصوتيّ
في البحث اللّغوي الحديث

أطروحة مقدمة إلى
مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه
في فلسفة اللّغة العربية وآدابها

من الطالبة
هبة فائق فاضل الدليمي

بإشراف
أ.د. محمد بشير حسن

١٤٤٥هـ ٢٠٢٤م

Abstract

The concept of assumption was one of the linguistic concepts that was present in the minds of ancient and modern linguists, and in reality, assumption is a mental process used by the linguist to address some linguistic issues.

The idea of the dissertation was to address what modern linguists propose as mental perceptions through which the existence of a specific sound is assumed at a stage of the development of a word. In this regard, they are searching for the hidden sound. It must be noted that the phonetic assumption is not a figment of the imagination; rather, it can be a linguistic reality used in speech.

Phonetic assumption is considered a characteristic of deep thinking for ancient and modern linguists. Through it, the method of linguistic thinking characterized by contemplation, foresight, and practice in dealing with language phenomena is revealed. The assumption is directly linked to linguistic thought; it goes beyond form to explore what lies behind texts. This was a reason to shed light on the efforts of modern linguists to highlight the status of their linguistic thought in solving some linguistic problems by combining language levels, especially the phonetic level with morphology and syntax.

The dissertation outline was divided, according to the order of language levels, into three chapters preceded by an introduction and followed by a conclusion. The introduction was entitled: "An Introductory Definition of the Concept of Assumption," where I discussed the definition of assumption in language and terminology, the definition of phonetic assumption, assumption in regional, traditional, and grammatical approaches, and the assumption in ancient and modern linguistics, as well as the relationship of assumption to some concepts.

The first chapter was titled: "Phonetic Assumption at the Phonetic Level," consisting of four sections. The first section: "Assumption in Attributes: Alif, Qaf, and Ta," where I discussed the assumption in the transformation of these sounds. The second section: "Phonetic Assumption in Morphemes," where I talked about types of morphemes, the transformations they underwent, and some assumed morphemes. The third section: "Phonetic Assumption in the Phenomenon of "Nabr"," where I discussed the assumption in the rules of "Nabr" and its positions. The fourth section: "Assumption in the Double Consonant," where I discussed the nature of the double consonant and its existence or absence in Arabic.

The second chapter was titled: "Phonetic Assumption at the Morphological Level," consisting of four sections. The first section: "Phonetic Assumption in the Dual Root," where I discussed the issue of dual and tri-consonantal roots and phonetic simulation in the dual root. The second section: "Phonetic Assumption in Noun Structures," where I discussed the assumption in nouns such as the defective, diminutive, and transformed forms, along with their phonetic changes. The third section: "Phonetic Assumption in Verb Structures," where I discussed the assumption in the defective past verb, its pronouns, as well as the assumption in the defective present verb and its pronouns. The fourth section: "Assumption in the Commonality between Nouns and Verbs," where I discussed some issues of "I‘lāl" vocalization and "Ibdāl." substitution

The third chapter was titled: "Phonetic Assumption at the Syntactic Level," consisting of five sections. The first section: "Phonetic Assumption in the Phenomenon of "I‘rāb" parsing," where I discussed the issue of "Inkar al-I‘rāb." The second section: "Phonetic Assumption in Estimated "I‘rāb","

المبحث الأَوّل

الافتراض في صفة (الهمزة، والقاف، والطاء)

تحدث الباحثون المحدثون عن صفات هذهِ الأصوات، واختلفوا مع القدماء في صفاتها، وجدير بالذكر أَنَّ المحدثين قد بحثوا في هذهِ القضية، وتأوّلوا صفة صوت الهمزة بحسب عمل الوترين الصوتيين، ولم يخلُ كلامهم من الافتراض، ويمكن للباحثة أَنْ تتحدث عن هذهِ الأصوات على النحو الآتي:

أوّلًا: الافتراض في صفة الهمزة:

وصف سيبويه الهمزة بأَنَّها صوت مجهور(١)، وقد تابعه في ذلك علماء العربيّة(٢)، الذين اعتقدوا أَنَّ الهمزة مجهورة ووصفوها مع الأصوات المجهورة بحسب ما ورد عنهُ؛ إذ يقول: ((حرف أُشْبِعَ الاعتماد في موضعهِ ومنع النَفس أَنْ يجري معهُ؛ حتّى ينقضي الاعتماد عليه، ويجري الصوت... أَمّا المهموس فحرف أُضْعِفَ الاعتماد في موضعهِ؛ حتّى جرى النَفَس معهُ، وأنت تعرف ذلك، إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النَفس))(٣).

أَمّا الباحثون المحدثون فقد اختلفوا مع القدماء في نسبة الجهر إلى الهمزة، ونظروا إليها من منظار آخر؛ فكانوا على فريقين، الأَوّل: يقول بهمس الهمزة، ويرونَ أَنَّ سبب همسها هو عدم تذبذب الوترين الصوتيين في أثناء النطق بها، وذهب هذا المذهب عدد من الباحثين الغربيين، ومنهم هفنر الذي قال: إِنَّهُ صوتٌ مهموسٌ دائمًا(٤)، وكان منطلقًا من النظر إلى وظيفة الحنجرة التي لها وظيفتان: ذبذبة الأوتار الصوتية وهي (صفة الجهر)، وعدم ذبذبتها، وهي صفة (الهمس)، ويدخل في حالة عدم الذبذبة حالة

---

(١) ينظر: الكتاب: ٤/٤٣٤.

(٢) ينظر: المقتضب: ١/١٩٥، والممتع الكبير في التصريف: ٤٢٦، وارتشاف الضرب: ١/٦.

(٣) الكتاب: ٤/٤٣٤.

(٤) ينظر: General Phonetics: 125، والقراءات القُرآنية في ضوء علم اللّغة الحديث: ٢٥.

الاحتباس في الحنجرة، وذلك في الهمزة، وحالة الانطلاق فيها، وذلك في بقية المهموسات[١].

وذهب الدكتور عبدالرحمن أيوب إلى ما ذهب إليه هفنر، وقال عنها: إنَّها مهموسة لا مجهورة؛ إذ يرى أَنَّ حال النطق بالهمزة تظل الأوتار الصوتية في حالة انطباق تام، وهو أمر يناقض التذبذب؛ ومن أَجل هذا نقول: إِنَّ الهمزة مهموسة؛ لأَنَّ الهمس يعني عدم التذبذب[٢]، وذهب إِلى هذا أيضًا المستشرق كانتينو، الذي تصوّرَ أَنَّ الهمزة: ((حرف شديد أقصى حلقي يقرع بإطباق الأوتار الصوتية الواحد على الآخر، ويحول هذا الإطباق طبعًا دون ارتعاش الأوتار الصوتية؛ ولذلك كانت الهمزة مهموسة بالطبع))[٣].

وذهب إِلى هذا هنري فليش، الذي رأى أَنَّها مهموسة أيضًا[٤]، وهؤلاء نظروا إِلى حالة الوترين الصوتيين عندما ينطبقان عند النطق بهما؛ فلا يهتزان ولا يرتعشان، كما يحدث مع الجهر؛ أي إِنَّ ضابطهم في ذلك عدم اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بهما، وهذا عمل عضوي بحت يخلو من متابعة الأثر السمعي لنطق الهمزة.

وكلامهم هذا لا يخلو من الافتراض الذي قال به بعض الباحثين العرب المحدثين؛ فقد ذهب الدكتور تمام حَسّان إِلى أَنَّ جهة الهمس تأتي في هذا الصوت من أَنَّ إقفال الوترين الصوتيين معهُ، لا يسمع بوجود الجهر في النطق؛ ولكن النّحاة والقُرّاء أخطأوا؛ فقد عدّوا هذا الصوت مجهورًا، وهو أمر مستحيل استحالة مادية؛ ما دامت الأوتار الصوتية مقفلة في أثناء نطقهِ[٥].

---

(١) ينظر: القراءات القُرآنية في ضوء علم اللّغة الحديث: ٢٥.

(٢) ينظر: أصوات اللّغة: ١٨٤.

(٣) دروس في علم أصوات العربيّة: ١٢٣.

(٤) ينظر: العربيّة الفصحى: ٣٨.

(٥) ينظر: مناهج البحث في اللّغة: ٩٧.

وَعَدَّ الدكتور وفاء البيه صوت الهمزة مهموسًا في أثناء حديثه عن عمليّة الهمس؛ إذ يقول: ((نظرًا لانطباق الشفتين الصوتيتين انطباقًا تامًا، وهذا ما يحدث عند نطق الفونيمات المهموسة))[١]، وهذا تصوّر وافتراض من لدن بعض الباحثين المحدثين؛ لأَنَّهُ يخالف الحقيقة النطقية للهمزة؛ فهي فعلًا لا يحدث اهتزاز للوترين عند النطق بها؛ لكن هل الهمس ينتج عن عدم التذبذب وحده؟ بالتأكيد لا؛ لأَنَّ الهمس ينتج أيضًا عن إقفال تام للوترين الصوتيين؛ وهنا ستتولد لدينا حالة جديدة تكون فيها حالة نطق الهمزة وسطًا بين المجهور والمهموس[٢].

أَمّا الثاني فقد ذهب أصحاب هذا المذهب إِلى أَنَّها صوت لا بالمجهور ولا بالمهموس، وهو رأي بعض الغربيين، ومنهم دانيال جونز، الذي رأى أَنَّ الهمزة: ((صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس؛ لأَنَّ فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقًا تامًا؛ فلا نسمع لها ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يُسمح للهواء بالمرور إِلى الحلق إِلَّا حين تنفرج فتحة المزمار...؛ مِمَّا يجعلها أشق الأصوات))[٣].

وتبنى هذا الرأي بعض الباحثين العرب المحدثين، منهم الدكتور إبراهيم أنيس، الذي يرى أَنَّ: ((فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقًا تامًا؛ فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمح للهواء بالمرور إِلى الحلق إِلَّا حين تنفرج فتحة المزمار، وذلكَ الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة))[٤]، وعلل الدكتور كمال بشر ذلك بقولهِ: ((والقول بأَنَّ الهمزة صوت لا بالمهموس ولا بالمجهور هو الرأي الراجح؛ إذ إِنَّ وضع الأوتار الصوتية حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يُسمى بالجهر، أو

(١) أطلس أصوات العربيّة: ٩٥٨.

(٢) ينظر: دراسات في علم اللّغة: ٥٩.

(٣) An outline of English Phonetics: 125، وينظر: الأصوات اللّغوية، د. سمير شريف إستيتية: ١٠٨.

(٤) الأصوات اللّغوية: ٧٧.

ما يُسمى بالهمس))[١]، ويرى الدكتور بشر أَنَّ الهمزة يمكن نطقها بمرحلتين، المرحلة الأولى: هي انطباق الوترين الصوتيين، وفيها ينضغط الهواء من خلفهما؛ فينقطع النَفس، والأخرى: هي انفراج الوترين الصوتيين فجأة محدثة انفجارًا مسموعًا، وهاتان المرحلتان متكاملتان، ولا يمكن الفصل بينهما، أو النظر إلى إحداهما من دون الأخرى[٢].

وذهب إلى هذا الدكتور محمود السعران؛ إذ قال: ((يحدث هذا الصوت بأَنْ تُسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين، وذلك بانطباق الوترين انطباقًا تامًا؛ فلا يُسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة، بضغط الهواء فيما دون الحنجرة، ثمَّ ينفرج الوتران؛ فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثًا صوتًا انفجاريًا، وهمزة القطع صامت حنجري انفجاري))[٣].

يتضح مِمَّا تقدّم أَنَّ هناك اختلافًا بشأَن صفة الهمزة، ولاسِيَّمَا وصفها بالجهر أو الهمس، الذي من الممكن أَنْ نعدّهُ افتراضًا واجتهادًا من لدن بعض الباحثين المحدثين، وترى الباحثة أَنَّ وصف الهمزة بالهمس ما هو إِلَّا افتراض من لدن بعض الباحثين؛ لأَنَّهم احتكموا إلى معيار تذبذب الوترين من عدمهِ، ومن المعروف أَنَّ المهموس أو الهمس يحدث عندما يتباعد الوتران الصوتيان؛ فلا يهتزان، فتسمح بمرور الهواء مع انفراجهما، وهذهِ الحالة تختلف عن وضع الوترين الصوتيين عند نطق الهمزة عند انطباقهما واتصالهما ثمَّ انفراجهما؛ بفعل تيار الهواء القادم من الرئتين؛ أي إِنَّ معيارهم الاهتزاز من عدمهِ للوترين أيّنما كانا في حالة الانطباق أو الانفتاح[٤].

---

(١) دراسات في علم اللّغة: ٥٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٦٠.

(٣) علم اللّغة مقدمة للقارئ العربيّ: ١٥٧.

(٤) ينظر: الأصوات اللّغوية، د. إبراهيم أنيس: ٧٧.

ثانيًا: الافتراض في تحوّل صوتيّ القاف والطاء:

وصف علماء العربيّة هذين الصوتين بالجهر(١)، في حين ذهب المحدثون إلى أَنَّهما صوتان مهموسان لا مجهوران؛ ومن هنا أُثيرت الأسئلة التي دارت بين المحدثين حول صفة القاف والطاء، وظهر اختلاف بينهم وبين القدماء في طبيعة صفة صوتي القاف والهمزة، ومعرفة كيفية نطقهما، وامتدادهِ إلى يومنا هذا، ولا نعدم أَنْ نشير إلى عامل التطور الذي قد يُصيب بعض الأصوات، منها صوت القاف فقد ذهب بعض المحدثين إلى افتراض انتقال المخرج، وأَنَّها في الأصل كانت كافًا تشبه الغين أو الكاف المجهورة (گ)؛ أي إِنَّهُ تحوّل إلى صوت آخر(٢)؛ فقد تصوّر الدكتور إبراهيم أنيس أَنَّ القاف تطورت في اللهجات العربيّة الحديثة تطورًا ذا شأَن؛ حتّى إِنَّنا لا نستطيع أَنْ نؤكد كيف كان يُنطق بها الفصحاء من عرب الجزيرة في العصور الإسلامية الأولى، إلَّا أَنَّنا لا نستطيع أَنْ نستنتج من وصف القدماء لهذا الصوت أَنَّهُ رُبَّما كان يشبه تلك القاف المجهورة التي نسمعها الآن بين القبائل العربيّة في السودان وبعض القبائل في جنوب العراق؛ إذ نسمعها منهم نوعًا من الغين، ومن الممكن أَنْ نفترض للقاف القديمة فرضًا آخر رُبَّما كانَ أكثر احتمالًا هو أَنَّها كانت تشبه الجيم القاهرية، ويستأنس لهذا الرأي بنطق أَغلب البدو الآن للقاف على هذا النحو(٣).

وتابعه في تصوّره هذا الدكتور كمال بشر؛ إذ يُفسّر ما حدث مفترضًا أَنَّ: ((الاختلاف في موضع النطق فمرجعهُ إلى واحد من اثنين، الأَوّل: لعل علماء العربيّة أخطأوا في تفسير الموضع الدقيق لنطق القاف، وهذا احتمال يراه بعض الدارسين المحدثين، والثَّاني: هو ما تشيرُ الدلائل إلى رجحانهِ، وهو أَنَّ العرب كانوا يتكلمون على

---

(١) ينظر: الكتاب: ٤/٤٣٤.

(٢) ينظر: الأصوات اللّغوية، د. إبراهيم أنيس: ٨٤، وعلم اللّغة العام (الأصوات): ١٠٢، ١٠٩، ومناهج البحث في اللّغة: ٩٤.

(٣) ينظر: الأصوات اللّغوية، د. إبراهيم أنيس: ٧٢.

قاف تختلف عن قافنا الحاضرة، ليس من البعيد أَنَّهم يقصدون بالقاف ذلك الصوت الذي نسمعهُ في بعض جهات الصعيد، وريف الوجه البحري، وفي كثير من عاميات البلاد العربيّة، وهو شبيه بالجيم القاهرية، أو هي من حيث الأثر السمعي))[١].

وقضية تحوّل هذا الصوت إلى صوت آخر ما هو إلَّا افتراض لطرحهم البديل النطقي، ولربّما لا يتناسب مع كلام القدماء الذين وصفوا القاف وصفًا دقيقًا؛ قال سيبويه: ((إنَّكَ لو جافيت بين حنكيك فبالغت ثمَّ قُلتَ قق قق؛ لم ترَ ذلك مخلًا بالقاف، ولو فعلتهُ بالكاف، وما بعدها من حروف اللسان أَخلَّ ذلك بهنَّ))[٢]، فهذهِ تجربة يمكن أَنْ يجربها أي إنسان؛ إذ يرى الدكتور حسام النعيمي أَنَّ القاف هي التي وصفها سيبويه، ليست كافًا مجهورة؛ لأَنَّ الكاف نفسها الكاف المجهورة، الفرق بينهما اهتزاز الوترين فقط، وقضية الجهر ليس لها علاقة بمكان ولادة الصوت؛ فمثلًا نقول (b) و(p)[٣]، كلاهما من المخرج نفسه، الفرق بينهما الجهر من عدمهِ، وفي هذا التصوّر لربّما وَجَدَ بعض المحدثين عن طريقهِ مخرجًا لتفسير ما حدثَ عند القدماء في كيفية نطق هذهِ الأصوات، فضلًا عن ذلك فإنَّ هذا الصوت اللّغوي والذي يفترضون أَنَّهُ تحوّل، والتحوّل ينافي الواقع الاستعمالي؛ نلحظ أَنَّ لَهُ في اللهجات العامية صورًا مختلفة؛ فهو في منطقة غزة الفلسطينية (كاف خالصة) يقولون في العامية: (يكول هذا، كالوا، بيكول)، وفي مناطق أُخرى، كالعراق مثلًا، صار كافًا مجهورة؛ فـ(يقول) يقولون فيها (يگَول)، وفي العراق أيضًا في الموصل يقولون: (يقول)، وفي مصر يقولون: (يئول)، أصبحت همزة؛ فنلحظ كيفية تغيّر الصوت، إلَّا أَنَّ الجميع ينطقونهُ نطقًا موحدًا (القاف الفصيحة)[٤].

---

(١) علم الأصوات: ٢٧٩-٢٨٠.

(٢) الكتاب: ٤٢٧/٢.

(٣) ينظر: أصوات العربيّة بين التحوّل والثبات: ٢٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧-٢٨.

وقد حاولَ الدكتور حسام النعيمي أَنْ يبيّن ضابط القدماء في التمييز بين المجهور والمهموس، وَأَنْ يجد لهم تأويلًا في قولهم بجهر الطاء والقاف؛ إذ ذكر أَنَّ الصوت لم يدخلهُ تغيير في الفصيح؛ لأَنَّ جري النَفس يتم عن طريق خطوات، منها[١]:

١. خفض الصوت بالحرف إلى أدنى مستوى (الإخفاء).

٢. ترديد الصوت بالحرف (التكرار).

٣. جريان النَفس في أثناء هذهِ المحاولة.

وفي حديث لي مع الأستاذ الدكتور حسام النعيمي ذكر لي قضية جري النَفس التي تجري عن طريق وضع راحة اليد أمام الفم، ويخفض الصوت ويردد الحرف، سنجد ضربات الهواء على راحة اليد في المهموس[٢]؛ فإذا جرَّبنا مثلًا: الزاي وقُلنا: (زَزَزَ) لا نشعر بالضربات؛ لكن إذا قُلنا: (سَ سَ سَ) سنشعر بضربات الهواء على راحة اليد؛ فهذا ضابط القدماء، أَنَّهُ عند تجربة نطق القاف وترديدهُ لأكثر من مرة على وفق التجربة الذاتية، رأينا أَنَّ صوت القاف من الممكن أَنْ يتحوّل إلى خاء[٣]؛ ولعلَّ سبب هذا التحوّل أَنَّ هناكَ تداخلًا بين مخرجي القاف والخاء؛ ففي نطق بعض النَّاس تكون الخاء أعمق، وفي نطق بعضهم الآخر تكون القاف أعمق منهما يكاد أَنْ يكونا متتابعين في مدرج مخارج الأصوات؛ إذ قال الدكتور حسام النعيمي إِنَّ: ((الغين والخاء يمكن أَنْ ينطقا من اللهاة قريبين من موضع القاف، وهو ما عليه نطقنا اليوم، ويكونان بُعيدها أو قُبيلها كلاهما ممكن مِمَّا يؤدي إلى الاشتباه في تعيين المخرج))[٤].

فهذا الضابط يبيّن لنا أَنَّ الصوت ثابت وهو حرف لهوي شديد، وما قيل في قضية تحوّلهِ وخروجهِ عن أصلهِ ما هو إِلَّا افتراض لا يسندهُ الواقع الاستعمالي، وقد حاول

---

(١) ينظر: أصوات العربيّة بين التحوّل والثبات: ٢٧.

(٢) كان هذا عن طريق اتصال هاتفي في يوم الخميس الموافق ١٧ آب ٢٠٢٣ في تمام الساعة الثامنة مساءً عندما كنت أتحدث معهُ في قضية تحوّل صوت القاف.

(٣) ينظر: أصوات العربيّة بين التحوّل والثبات: ٢٧–٢٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣.

آخرون تفسير كيفية نطق المجهورة؛ فالدكتور حجازي يؤكد حقيقة القاف في السامية الأم، والأكادية، والعربية، كما وصفها سيبويه كان صوتًا مجهورًا، وأَمَّا النطق الحالي المهموس للقاف في الأداء المعاصر للعربية الفصحى قد جاء بعد تغيير صوتي(١).

وقد وافقهُ الدكتور محمود السعران؛ فالصوت لديه مهموس انفجاري؛ إذ يقول إِنَّهُ: ((صوت صامت مهموس لهوي انفجاري، أَمّا النظير المجهور للقاف الذي يحدث في الموضوع نفسه والكيفية نفسها؛ ولكن يتذبذب معه الوتران الصوتيان فليس من جُملة الأصوات العربيّة الفصحى الآن، إِلَّا أَنَّهُ يُسمع في بعض العاميات))(٢).

يتضح أَنَّ القاف الفصيحة لم يطرأ عليها أي تغيير، وأَنَّ ما قيلَ في تحولهِ ما هو إِلَّا افتراض لإيجاد بديل عن الصوت الذي وصفهُ القدماء، ومسأَلة الجهر والهمس لا تُغيّر من حقيقة صوت القاف الشديد المقلقل؛ إذ كانت هذهِ الصّفة نفسها عند القدماء، وما زالت هي صفتهِ إِلى يومنا هذا، وهذا دليل على عدم تغيّر الصوت على الرغم من الخلاف الحاصل في صفة الجهر والهمس فيهِ بين القدماء والمحدثين.

أَمّا الطاء فقد قيل في تحوّلها وتبدلها أقوالًا كثيرة لا يخرج أغلبها عن دائرة الافتراض؛ وذلك لما أثارتهُ عبارة سيبويه من خلاف بين المحدثين، عندما وضع صوت الطاء مع الأصوات المجهورة، وقال عنها: ((لولا الإطباق؛ لصارت الطاء دالًا، والصاد سينًا، والظاء ذالًا، ولخرجت الضاد من الكلام؛ لأَنَّهُ ليسَ شيء من موضعها غيرها))(٣).

ومن هنا اختلف الباحثون المحدثون في تفسيرهم لمذهب القدماء في جهر الطاء، والمتتبع لنصوصهم يرى أَنَّهم يطرحون أصواتًا بديلة للطاء؛ ليحلوا لغز الجهر في الطاء الذي ينطق في زماننا مهموسًا وطرحهم هذا لا يخلو من الافتراض؛ فقد ذكر الدكتور

---

(١) ينظر: علم اللّغة العربيّة: ٣٠١.

(٢) علم اللّغة مقدمة للقارئ العربيّ: ١٥٦.

(٣) الكتاب: ٤٠٦/٢.

إبراهيم أنيس أَنَّهُ من المحتمل أَنْ يكون القدماء قد خلطوا في وضعهم بين صفتي الجهر والهمس فيما يتعلّق بهذا الصوت، ورجّحَ أَنَّ صوت الطاء – كما وصفها القدماء – يشبه الضاد الحديثة لدى المصريين؛ مؤكدًا ذلكَ بما نسمعهُ اليوم من نطق أهل اليمن(١).

وكلامهُ لا يخلو من الافتراض، ولاسِيَّمَا في ترجيحهِ النطق القديم بأَنَّهُ يشبه الضاد، والحقيقة التي لا مناص منها: أَنَّ صوت الضاد فيهِ خلاف وفيهِ مشكلة قديمًا وحديثًا، أَمّا في القديم فكان يختلط نطقهُ بالظاء نطقًا ورسمًا(٢)، أَمّا في العصر الحديث فلهُ أمثلة نطقية كثيرة بحسب البيئات العربيّة، غير أَنَّهُ بحسب قُرّاء القُرآن الكريم يُنطق نطقًا شديدًا أو انفجاريًا(٣)، ورُبَّما كانت هذهِ الصّفة جامعة بين الطاء والضاد.

وترى الباحثة أَنَّ اجتماع الشدّة في الصوتين لا يبرر تقارب الطاء والضاد، وكُلّ هذهِ افتراضات تحاول أَنْ تجد مخرجًا لمشكلة صوتية مختلفٌ فيها؛ إذ يقول الدكتور تمام حَسّان: ((يرجّح عندي أَنَّ الطاء العربيّة الفصحى القديمة التي وصفها القُرّاء كانت في صوتها وفي نطقها بهذا الوصف، ثمَّ لغرابة صوتها على السمع أخطأ النّحاة والقُرّاء؛ فجعلوها مجهورة في دراستهم، وجعلوا الدال مقابلًا مرققًا لها، فضلًا عن ذلكَ فإِنَّ النّحاة والقُرّاء في القديم قد وصفوا قاعدة قياسية تقول: إِنَّ كُلّ صوت من أصوات القلقلة مجهور شديد؛ وهذا ما جعلهم يخطئون الصواب لا في الطاء فحسب؛ بل في وصف أصوات مهموسة أُخرى بالجهر، كالقاف والهمزة؛ فصوت الطاء الفصحى إذن: أسناني لثوي شديد مهموس مفخم مهموز))(٤).

---

(١) ينظر: الأصوات اللّغوية، د. إبراهيم أنيس: ٨٥.
(٢) ينظر: الكتاب: ٤/٤٣٦.
(٣) ينظر: الأصوات اللّغوية، د. إبراهيم أنيس: ٥١.
(٤) مناهج البحث في اللّغة: ١٢٢-١٢٣.

ويرى الدكتور محمود السعران أَنْ الطاء صوت صامت مهموس سنّي مطبق انفجاري، والنظير المجهور للطاء هو الضاد؛ فلا فرق بين الضاد والطاء، إِلَّا أَنَّ الأَوّل مجهور، والثَّاني مهموس[١].

ثمَّ حاول قسمٌ آخر من المحدثين وضع تفسير آخر لما حدث؛ فقد رأى الدكتور كمال بشر أَنَّ تفسير اختلاف صوت الطاء يعدو ثلاثة احتمالات[٢]، الأَوّل: أَنَّ العرب اخطؤوا، فظنوا الطاء مجهورة، وهذا يعتمد الفهم الحديث للجهر، والثَّاني: أَنَّ صوت الطاء تطوّرَ، وهو رأي شائع ويوافق رأي الدكتور إبراهيم أنيس، والثالث: أَنَّ العرب وصفوا نوعًا من الطاء هو الطاء المهموسة.

في حين وجّه الدكتور حسام النعيمي عبارة سيبويه توجيهًا آخر؛ إذ يرى ((أَنَّ التنظير الشكلي قد طغى على التطبيق الصوتي في عبارة سيبويه ومن تبعهُ...؛ فالعلاقة في التطبيق الصوتي تنعقد بين الطاء والتاء))[٣]، واستدل بقول الداني وهو يتكلم على التاء؛ إذ يقول: ((وإذا اجتمع مع حروف الإطباق في كلمة فيلزم تَعَمّل بيانهُ وتخليصهُ من لفظة الطاء؛ وإلّا انقلب طاءً، كقوله تعالى: ﴿فَٱخۡتَلَطَ﴾ [يونس:٢٤][٤].

وقد تردد الدكتور غانم قدوري الحمد في حسم موضوع صوت الطاء؛ إذ يرى أَنَّ: ((على الدارس أَنْ لا يغيب عن نظرهِ ذلك الإجماع على نطق الطاء المهموسة اليوم من قبل ناطقي العربيّة في المستوى الفصيح والدارج، ومنهم قُرّاء القُرآن الذين يحرصون على ضبط نطقهم، والمحافظة على صورتهِ الموروثة، ولم يلاحظ أحد من العلماء المتقدمين تحوّل الطاء من الجهر إِلى الهمس، كما لاحظ كثير منهم التحوّل الذي أصابَ نطق الضاد، وهذهِ الحالة تضع قضية الطاء في إطار آخر وهو احتمال الخطأ

(١) ينظر: علم اللّغة مقدمة للقارئ العربيّ: ١٥٥.
(٢) ينظر: علم الأصوات: ٢٥٠-٢٥٢.
(٣) أصوات العربيّة بين التحول والثبات: ٣٣.
(٤) التحديد: ١٤١.

في وصف صوت الطاء بالجهر؛ ولكن النصوص السابقة، لاسيّما قول سيبويه: (لولا الإطباق لصارت الطاء دالًا) تقف في وجه هذا الاحتمال بقوّة تجعل الدارس بالحاجة إلى كثيرٍ من البحث قبل أَنْ يعطي رأيًا قاطعًا في قضية الطاء))[١].

فالكلام على حقيقة الطاء مرتبط ارتباطًا وثيقًا بما قدّمنا الحديث عنهُ في القاف، حتّى الهمزة؛ لأَنَّ مشكلة الصوتين واحدة؛ فإذا أسعفتنا النصوص بتقرير حقيقة القاف كان ذلك دليل على حقيقة الطاء أيضًا، وما يجمعها هو قضية صفة الجهر والهمس بين القدماء والمحدثين؛ ولعلَّ مفهوم هاتين الصفتين هو ما جَعَلَ هذا الخلاف كبيرًا، ودخلهُ التأويل والافتراض؛ لكثرة الآراء فيهِ، والافتراضات التي طُرحت من لدن اللغويين المحدثين ما هي إِلَّا محاولة للتوفيق بين كلام القدماء والمحدثين، ولتقريب وجهات النظر في صفة هذهِ الأصوات.

وهذه الافتراضات رُبَّما أعطتنا سعة التفكير، وصوّرت لنا التطور الحاصل في نطق الأصوات المذكورة آنفًا على الرغمِ من قربها من الحقيقة أو بُعدها.

---

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٤٧.